البناء العلمي

الأكاديمية الإسلامية المفتوحة
www.islamacademy.net
ملتقى العلم والعلماء



كتاب التوحيد (2)

الفصل الدراسي الثالث

معالي الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب قول ما شاء الله وشئت.}

- لا شك أن لله مشيئة وهي صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وهي مشيئة كونية، من أفعال الله سبحانه وتعالى، وكذلك للمخلوق مشيئة، وليس المخلوق مجبرا كما تقوله الجبرية من الجهمية وغيرهم، فيقولون إنه مسير فقط، ومجبر، لا ليس كذلك، المخلوق له مشيئة، يفعل بمشيئته ويترك بمشيئته، ولو كان مجبرا كما تقوله الجهمية لم يستحق العذاب؛ لأنه ليس باختياره، ودل على أنه مخير كونه ينعّم أو يعذّب، فإن هذا دليل على أن العبد له مشيئة وله إرادة، وأنه مخير يفعل الأشياء باختياره وإرادته؛ ولذلك يعذبه الله إذا عصى الله سبحانه وتعالى، ويؤجر إذا أطاع الله؛ لأنه باختياره.
- هو الذي يأتي المعصية بمشيئته وإرادته، أو يتركها بإرادته ومشيئته، ولذلك يستحق النعيم أو العذاب، والدليل على أن المخلوق له مشيئة قوله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 28]. فالاستقامة تكون بمشيئة العبد، والانحراف يكون بمشيئته وإرادته، ما دام أنه عاقل مكلف مختار فإنه ينعّم أو يعاقب على ما فعل؛ لأنه ليس مجبرا عليه، وإنما فعله باختياره ومشيئته. ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [التكوير: 28، 29]، فجعل للعبد مشيئة، وجعل لله مشيئة، وأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى.
- ليست مطلقة كما تقول المعتزلة، وأن العبد يخلق فعل نفسه، بل الله يخلق ذلك، العبد مخلوق، وأفعاله مخلوقة لله سبحانه وتعالى، ولكنه يفعلها باختياره، بإمكانه أن يترك وبإمكانه أن يفعل، وبإمكانه أن يطيع الله، وبإمكانه أن يعصي الله باختياره ومشيئته.

{هل الإنسان مسير أم مخير؟}

- هو مسير في أفعال الله جل وعلا، وأما في أفعال المخلوق فإنه مخير، فهو مسير ومخير.

{عن قتيلة، أن يهوديًّا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت» رواه النسائي وصححه.}

- جاء يهودي إلى الصحابة وقال إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة، انتقد المسلمين، قال إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة، فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل هذه الملاحظة من اليهودي، هذا يدل على أن الحق يقبل ممن جاء به، ولو كان عدوًّا أو كان يهوديا أو نصرانيا، الحق ضالة المؤمن أين وجده أخذه.
- فالنبي صلى الله عليه وسلم لما جاء هذا اليهودي بهذه الملاحظة وهي ملاحظة صحيحة وحق، قبلها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تقولوا ما شاء الله وشئت، ولكن قولوا: «ورب الكعبة، وأن يقولون ما شاء الله ثم شئت»، إذا أرادوا أن يحلفوا فلا يقولوا والكعبة، لأن الكعبة مخلوقة،والمخلوق لا يحلف به، وإنما يحلف بالله عز وجل، فبدل أن يقولوا والكعبة أن يقولوا ورب الكعبة وهو الله سبحانه وتعالى، هو رب الكعبة ورب الخلق كلهم، والكعبة مخلوقة، فلا يجوز الحلف بها، وإن كان لها فضل ولها مكانة وهي قبلة المسلمين، وهي أول بيت وضع للناس، فلا يجوز الحلف بها لأنها مخلوقة، ومبنية من حجارة وغير ذلك، فهي مخلوقة، وإنما هي مشعر من المشاعر، يعبد الله عندها، يطاف بها، ويحج إليها، ويعتمر إليها، فهي مشعر من مشاعر الله سبحانه وتعالى والمعبود ليس هو الكعبة، وإنما المعبود هو الله سبحانه وتعالى.

- فلا يجوز تعليق الآمال بالكعبة، وسؤال الكعبة، والتعلق بأستار الكعبة، وما أشبه ذلك، إنما الكعبة يُطاف بها، ويُصلى إليها، يُطاف بها لحج أو عمرة، ويُصلى إليها بالصلاة، ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 115]، والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان في أسفاره وبالمدينة وفي أي مكان يتوجه إلى الكعبة، ﴿وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: 144]، يعني شطر المسجد الحرام، أي الجهة التي فيها المسجد الحرام، فالذي يصلي في المسجد الحرام، ويرى الكعبة، لابد أن يستقبل عينها، والذي لا يرى الكعبة، يستقبل الجهة التي فيها الكعبة، هذا هو الواجب على المسلم، واستقبال القبلة شرط من شروط صحة الصلاة، هذا هو الواجب نحو الكعبة، وأما المشيئة، فالمخلوق له مشيئة، ولكنها بعد مشيئة الله، فلا يُقال ما شاء الله وشئت بالواو؛ لأن هذا يقتضي الاشتراك والمساواة بين مشيئة الله، ومشيئة المخلوق، فالواو لمطلق الجمع كما يقولون، وأما ثم فهي للترتيب، فيُقال: ما شاء الله ثم شئت، فتُجعل مشيئة العبد بعد مشيئة الله -سبحانه وتعالى.

{فأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت}.

- إذا جاء بثم، فإن العبارة تكون صحيحة؛ لأن ثم تقتضي الترتيب، ترتيب مشيئة العبد بعد مشيئة الله -سبحانه وتعالى-، فهو تابعة لها ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29]، فهذا من كمال التوحيد، أن تأتي بثم، ولا تأتي بالواو.

{رواه النسائي وصححه}.

- النسائي في سننه، في سنن النسائي، وهي إحدى السنن الأربعة، وصححه النسائي، يعني حكم بأن سنده صحيح، وإن لم يخرِّجه الشيخان.

{وله أيضًا عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي -صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندًا؟ بل ما شاء الله وحده»}.

- رجل قال للنبي -صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، يعني الرسول -صلى الله عليه وسلم-، النبي أنكر عليه هذه العبارة، وقال: «أجعلتني لله ندًا؟» يعني شريكًا؛ لأن الواو تقتضي التشريك، والاجتماع، وأما ثم فإنها تقتضي الترتيب، فتكون مشيئة الله أولاً، ثم مشيئة العبد بعدها، فالعبد له مشيئة، ولكنها بعد مشيئة الله، فلا يجتمع في الشيء مشيئة الله ومشيئة العبد على حد سواء، وإنما مشيئة العبد بعد مشيئة الله، وتابعة لمشيئة الله، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29].

{المشيئة هل تختلف من إنسان إلى آخر؟}.

- لا، كلٌ له مشيئة، مادام أنه عاقل، مكلف، فله مشيئة وإرادة، ولذلك يُعذَّب إذا عصى الله، ويُنعَّم إذا أطاع الله؛ لأنه يفعل الطاعة باختياره، ويفعل المعصية باختياره.

{هل النظر إلى الكعبة عبادة}.

- لا أعرف لهذا أصلاً، الذي يجب علينا نحو الكعبة، أن نطوف بها في الحج والعمرة، ونطوف بها أيضًا طواف تطوع، ونتجه إليها في صلاتنا، هذا الذي يجب علينا نحو الكعبة.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى- في هذا الباب مسائل، الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر}.

- اليهودي استدرك على المسلمين أنهم يقولون: والكعبة، يعني يحلفون بغير الله، والحلف بغير الله شرك، لكنه شرك أصغر، وكذلك في المشيئة، يقولون: ما شاء الله وشئت، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قَبِلَ هذه الملاحظة، وعدَّل العبارة، بأن يقول: ما شاء الله ثم شئت، فهذا فيه قبول الحق ممن جاء به، ولو كان عدوًا، والحق ضالة المؤمن، أين وجده أخذه.

{ في قوله -صلى الله عليه وسلم: «أجعلتني لله ندًا»، فكيف بمن قال: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواكَ}.

- لما قال الرجل: ما شاء الله وشئت، أنكر عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وإن كان صحابيًّا، قال: «أجعلتني لله ندًا»، أي شريكًا في المشيئة، خلطت بين مشيئة الله ومشيئة العبد، هذا يقتضي أن العبد شريك لله -عز وجل-، وند لله، الند هو الشريك، فهذا فيه إنكار المنكر، وبيان الحق، وألا يُترك الناس على أغلاطهم وجهلهم، بل يُبيَّن لهم.

«أجعلتني لله ندًا؟ قل ما شاء الله وحده».

فإما أن تقول: ما شاء الله وحده، وإما أن تقول: ما شاء الله ثم شئت.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

